

تلخيص

شرح متن

(المنهاج من سير أمت النبوة)

بَابُ فِي أَهَمِّيَّةِ الْوَعْيِ بِسَبِيلِ
الْمُجْرِمِينَ، وَالْحَذَرِ مِنْ أَعْدَاءِ
الْإِسْلَامِ وَكَيْدِهِمْ، وَالتَّنَبُّهِ مِنْ مَكْرِ
الْمُنَافِقِينَ

برنامج
البناء المنهجية 5

تنبيه



المادة المعتمدة في الاختبار:
الشرح المرئي للكتاب
هذا المخلص لا يغني عن مراجعة
الشرح.

بَابُ فِي أَهَمِّيَّةِ الْوَعْيِ بِسَبِيلِ الْمُجْرِمِينَ، وَالْحَذَرِ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَكَيْدِهِمْ، وَاللَّنْبَةِ مِنْ مَكْرِ الْمُنَافِقِينَ

الفوائد:

- 1-** هذا الباب لا يستغني عنه المصلح في تكوينه وبنائه، ولا في طريقه الإصلاحي من جهة الأداء.
- 2-** من المعاني الكبرى التي تربي عليها المسلمون في زمن النبي ﷺ أنهم ربّوا على الوعي، فأصحاب رسول الله ﷺ ربّوا على الوعي، ولم يكونوا ممن يُستغفل من الأعداء، وإنما كانت عقولهم يقظة، وكان لديهم الحذر الدائم، وكانوا على معرفة بمعالم سبيل المجرمين، ونحن في زمن يحتاج فيه المصلحون إلى تأكيد هذا المعنى؛ لأننا في زمن تطوّرت فيه وسائل الأعداء بصورة لا تُقارن بالماضي، وكثيراً ما يُؤتى العاملون للإسلام من جهة غفلتهم.
- 3-** الوعي هو أمر من أمور الدين، بخلاف ما يظنه بعض الناس من انفصاله عن القضايا الشرعية، وسنجد من خلال هذا الباب آيات وأحاديث تبين أهمية الوعي.

الآيات

الآية الأولى: قال الله تعالى: {وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ
الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}

الفوائد:

1- الله - سبحانه وتعالى - يُحبّ ويريد أن يكون سبيل المجرمين بيّنًا واضحًا، حتى لا يلتبس بسبيل المؤمنين، ومن معاني السوء الكبرى التي جاء الوحي بمعالجتها: التباس الحق بالباطل، والتباس سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين؛ لذلك يكثر الحديث في القرآن عن هذا، وبخاصة عند الحديث عن أهل الكتاب.

2- هذه الآية وردت في سورة الأنعام، وفي هذه السورة تطبيق عملي لبيان سبيل المجرمين، وبخاصة في النصف الثاني منها، فإن القارئ فيها يجد أن الله تعالى يبين كثيرًا من أحوال وطرائق المجرمين، ومبادئهم، ومحركاتهم، وأقوالهم ومآلاتها الفاسدة.

الآية الثانية: قال الله تعالى: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً

وَحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ
مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ
وَتُخَذُوا حِذْرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
مُهِينًا

الفوائد:

1- هذه الآية عجيبة في مقدار التفصيل الإلهي في الأمر بالحدز واليقظة والوعي للمؤمنين في سياق قتالهم للكفار وأدائهم العبادة، ففي الآية تكرار بين للحدز، وهذه الآية جزء من وحي شمولي كان يتنزل فيوقظ المؤمنين الذين يتلقون هذا الوحي، ويجعلهم يقظين حذرين من الغفلة حتى في الصلاة.

الآية الثالثة: قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَارْضَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَيَحْلِفُونَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}

الفوائد:

1- في الآية توعية من الله تعالى لعباده المؤمنين ألا يغتروا بما يصنعه المنافقون من أساليب ظاهرها الصلاح، وينبغي على المؤمنين أن يتبينوا المقاصد، فإن تبين المقاصد من وسائل كشف أحوال المجرمين.

2- الوسيلة التي اتخذها المنافقون هي وسيلة من أعظم وسائل الصلاح والإصلاح، فهم بنوا مسجدًا،

لكن الله تعالى يبين للمؤمنين أنه ينبغي عليهم أن يتيقظوا لعدوهم الداخلي من المنافقين الذين يتخذون مختلف الأساليب للإضرار بالمؤمنين.

3- بيان المقاصد التي يُريد المنافقون أن يحققوها من اتّخاذ هذا المسجد هو تنبيه للمؤمنين إلى العناية بالمقاصد، وأن الأدوات الصالحة والشريفة لا تشفع لصاحبها إذا كانت المقاصد باطلة.

4- الشاهد من الآية الدالّ على مقصود الباب: أن المؤمن واعٍ يقظ، وأن المؤمنين في زمن النبي ﷺ كانوا يربّون من الله تعالى على اليقظة والتنبيه والوعي.

5- عند المقارنة بين المرحلة التي كان فيها المؤمنون يُربّون على الوعي واليقظة والانتباه، وبين مثل زماننا هذا الذي يعيش فيه كثير من الصالحين حالة من الغفلة عن إِبصار حقيقة الأعداء، وحقيقة كيدهم بالإسلام، وحقيقة المقاصد التي يريدون الوصول إليها، وحقيقة الأدوات التي يستعملونها؛ نخرج بأنه لا عجب من استمرار المشاكل، وتأخر الصلاح والإصلاح، فكثير من الصالحين والمصلحين لديهم غفلة كبيرة في جانب الأعداء وكيدهم.

الآية الرابعة: قال الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ}

الفوائد:

1- من الناس مَن يُشهد الله على ما في قلبه ابتغاء الوصول إلى مآرب فاسدة، وهذا ذكره الله مرارًا عن

المنافقين أنهم يتخذون أيمانهم جُنَّةً، فيتقون العقوبة النبوية بالأيمان، وهذا لا يعني أن المؤمن يكون في حياته شكًّا بالناس، بل الأصل أن الإنسان يأخذ الناس بالظاهر كما هو منهج النبي ﷺ وأصحابه، وفي نفس الوقت لا ينبغي أن يكون هناك اغترار، ومن وسائل القياس: عرض القول على العمل، فإذا كانت حال الإنسان وحقيقة ما هو عليه بعيدة كل البعد عما يحلف عليه، بل هي مناقضة؛ فإن هذا من المؤشرات على أن هذا الشخص كاذب لا ينبغي الاغترار بقوله.

الآية الخامسة: قال الله تعالى: {سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا أَوْنَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}

الفوائد:

1- هذه الآية، وغيرها من الآيات في سورة التوبة، أو سورة الفتح، أو غير ذلك؛ تدل على وجود جزء كبير من القرآن في الحديث عن المنافقين، وأساليبهم، وأدواتهم، وأحوالهم، ومقولاتهم؛ لأن «بيان سبيل المجرمين» من المقاصد الشرعية، وليكون المؤمنون على حالة من اليقظة والتنبيه لأعدائهم، وبما أن هذا كان بهذه القيمة في كتاب الله؛ فإنه يدل على محبة الله لذلك من عباده المؤمنين، أي: أن يولوا لبيان سبيل المجرمين قيمة في جميع الأزمان، فمما يُتقرب به إلى الله أن يتعرّف المصلح على واقعه ويفهمه.

الأحاديث

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُلَدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ
جُحْرِ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ» أخرجه البخاري (6133)
ومسلم (2998).

الفوائد:

- 1- هذا الحديث يثير في الذهن سؤالاً، وهو: «ما العلاقة بين اسم الإيمان وبين ألا يُلدغ الإنسان من جحر واحد مرتين؟»، إن النبي ﷺ ربط في هذا الحديث بين المؤمن واليقظة والتنبيه والحذر، فصاحب الإيمان لا ينبغي أن يكون غافلاً بحيث يُلدغ من جحر واحد مرتين.
- 2- قال الخطابي -رحمه الله-: «وهذا لفظه خبر ومعناه أمر، يقول: ليكن المؤمن حازماً حذراً لا يؤتى من ناحية الغفلة، فيخرج مرة بعد أخرى، وقد يكون ذلك في أمر الدين، كما يكون في أمر الدنيا وهو أولاهما بالحذر»

الحديث الثاني: عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بَغِيرَهَا» أخرجه البخاري (2947).

الفوائد:

- 1- كان النبي ﷺ يتخذ بعض الأساليب التي يفهم من خلالها بين الصحابة أن الوجهة في هذه الغزوة إلى مكان غير المكان الذي يريد النبي ﷺ التوجه إليه؛ لكي

لا يتسرب الخبر وينتشر الكلام فيصل إلى الأعداء، فيفقد عنصر المفاجأة، وهذا ما نسميه باليقظة، والوعي، والحذر، واتخاذ الأسباب.

2- لم يكن النبي ﷺ يذكر مكان الوجهة المتّجه إليها على الحقيقة؛ لأن الكلام إذا ذُكر فلن يخلو الحال من أمرين:

- أن يتكلّم بعض الأصحاب إلى بعض الناس الذين لا ينبغي أن يصل إليهم هذا الكلام.
- أن يكون بعض من يسمع من النبي ﷺ مباشرة من المنافقين، وكان بعض المنافقين يخرج مع النبي ﷺ.

الحديث الثالث: عَنْ الْمِسْوَورِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ فِي قِصَّةِ الْحَدِيثِ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ [لقريش]: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ الْبُذْنَ، فَاْبْعَثُوهَا لَهُ»، فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُكَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ»، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: «رَأَيْتُ الْبُذْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأَشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ» أخرجه البخاري (2732).

الفوائد:

1- هذا الموضع من قصة الحديبية عجيب في تنبّه النبي ﷺ لخصائص الناس والقبائل والاعتبارات العُرفية

والتاريخية المتعلقة بكل قبيلة، ثم اتّخاذ الأساليب التي تُناسب هذه الأعراف فيما يُحقّق المصلحة الشرعية.

2- ما فعله النبي ﷺ في هذا الحديث قد يغفل عنه كثير من المصلحين الذين لا يتعاملون مع الناس بمراعاة الخصائص والإشكالات والبشرية، وإنما يتعاملون مع الناس باعتبار مكوّن الحق فقط، فمن أرادَه فهو موجود، وإلا فلجنهم سبعة أبواب!

الحديث الرابع: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ فِي قِصَّةِ الْهَجْرَةِ: «وَأَسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خَرِيَّتًا - الْخَرِيْتُ: الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ يَمِينَ جِلْفٍ فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاِحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاِحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلَاثٍ، فَأَرْتَحَلَا وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالْدَّلِيلُ الدَّيْلِيُّ، فَأَخَذَ بِهِمْ أَسْفَلَ مَكَّةَ وَهُوَ طَرِيقُ السَّاحِلِ» أخرجه البخاري (2263).

الفوائد:

1- مرحلة الخروج من مكة إلى المدينة كانت تتطلب الحذر الشديد في الطريق اختير فيه متقن لهذا التخصص، مع أنه كافر، فاتفق معه النبي ﷺ على أن

يكون هو الدليل الذي يسلك بهم الطريق، وهذه لفظة كبيرة في المرتبة العالية التي وصل لها النبي ﷺ من الحذر في اتخاذ الأسباب في مرحلة تتطلب حذرًا شديدًا.

